منصور إعتصامي *

أسواق العمل في المنظور الإسلامي

(الصفحات ١٣٩- ١٥٠)

ملخّص

في هذا البحث نشيرأولا إلى خصوصيات الطاقة والثروة الإنسانية من وجهة نظرالإسلام في نظامه الاقتصادي القائم على أساس كرامة الإنسان . ثم نقدم نموذجًا عن التعاطي المؤسساتي القائم على أساس قدرة المشاركة الاجتماعية للطاقة الإنسانية في المجال الاقتصادي ، وذلك بالاستناد إلى تعاليم نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام . والقسم الثالث من البحث عبارة عن إلقاء نظرة عامة على وضع سوق العمل في إيران . ويطرح هذا البحث بشكل عام بعض النقاط حول التغييرات في القوى العاملة المجربة والمتخصصة وحول سوق الطاقة الإنسانية في الجمهورية الإسلامية . وفي القسم الأخير منه سنطرح بعض الأمور كنتيجة ومقترحات للأبحاث.

١ـ الثروة الإنسانية في نظر الإسلام :

قبل الحديث عن خصوصيات الثروة الإنسانية في الإسلام نقدم أولاً تعريفًا عن التنمية الإنسانية . فالتنمية الإنسانية عبارة عن عملية بسط القابليات الإنسانية من خلال موازنة الغرائز وتأمين الحاجات المادية والمعنوية للإنسان مع

* - قائم مقام رئيس رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية في إيران.

العمل على شمول الإسلام لتنمية الإيمان والعمل الصالح في إطارالعدالة الشاملة من أجل الوصول إلى حياة طيبة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍأَوْأُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ فالوظيفة الأساسية للثروة الإنسانية في سوق العمل هي القيام بدورمحوري في إنتاج البضاعة والخدمات وتطوير كفاءاتها في إطارعملية التقدم والتنمية إلى ثروة إنسانية، وبالنتيجة الإشراف على عمل مسؤولي الجهاز الإداري والاقتصادي ومراقبتهم.

يقول الإمام علي بن أبي طالب في هذا الخصوص : «فليستْ تصلحُ الرعيةُ إلا بصلاحِ الوُلاة ولا تصلحُ الولاة إلا باستقامة الرعيّة».

وبالنظرلمحورية القيم الإنسانية والموقع الذي حظيت به خلال العقود الأخيرة في بُنى وهيكلية النماذج التنموية فإن الثروة الإنسانية أصبحت تحظى بأهمية أساسية .

واستناداً إلى تعاليم الإسلام : فإن من دون تنمية وتطورالثروة الإنساتية لا يستطيع أي نظام أو مؤسسة أو مجتمع تحقيق أهداف التنمية الاقتصادية . بعبارة أخرى تقوم التنمية الاقتصادية في النظام الإسلامي بمهمة التكامل الإنساني.

لقد رسمت الرؤية الإسلامية ، الحرية والقابلية والكرامة الإنسانية بشكل يتضمن مميزات أساسية . وفيما يلي تفصيل بعض هذه المميزات:

١ ـإن الهدف من محورية القوى العاملة في بناء التنمية الاقتصادية هو تحقيق الحياة الطيبة . وتتضمن هذه الحياة البعدين المادي والمعنوي.

٢ـإن انتشارالفضيلة والقابليات المعنوية المختلفة من الأهداف الأساسية في الاهتمام بالثروة الإنسانية في الإسلام .

٣ ـ في النظام الاقتصادي الإسلامي تصبح الثقافة والتعاليم الإسلامية مترسخة في الشخصية الفردية للعاملين.

٤ ـ إن الهدف من التنمية في بناء الإنسان هو تنمية «معرفة الله».

٥ ـ يمكن ملاحظة عملية البناء الملازمة لتلبية الحاجات المادية والمعنوية للإنسان في جميع المضامين حتى في الأدعية المأثورة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

٦ ـ إطار حركة القوة العاملة أو الثروة الإنسانية هو ثروتها الاجتماعية وعناصرها. وتقوم تنمية القوة العاملة على أساس عناصر مثل العدالة والالتزام والصدق والثقة والمساهمة.

إن مجموعة الخصوصيات المذكورة وخاصة الخصوصية الأخيرة هي ميزة تأثير واستخدام القوة العاملة في النظام الاقتصادي الإسلامي . ورغم أن بعض المفكرين الغربيين يعطون أهمية لدور وتأثير عناصر الثروة الاجتماعية، لكن هذا النوع من التعبير والاهتمام الأساسي بنوعين من الثروة الاجتماعية والإنسانية لا يُشاهد في آرائهم إلاّ قليلاً.

وفي النظام الاقتصادي الإسلامي فإن التلاحم والتأثير المتبادل بين نوعين من الثروة سيتكفل بجميع التحولات في دائرة التقدم والتكنولوجيا. فاعتبار كل واحد من عناصر الثروة الإنسانية والثروة الاجتماعية وسيلة في مجال الإنتاج و التنمية الاقتصادية هو من خصائص الاقتصاد الإسلامي.

إن التأثير المتبادل لهذين النوعين من الثروة يتضمن تأثيرهما في إنتاج ثروة أخرى، علمًا أن إنتاج الثروة الإنسانية يتم بوسيلة عناصر الثروة الاجتماعية.

٢ ـ نموذج التعامل المؤسساتي ـ الاقتصادي القائم على نوعي الثروة:

قبل الحديث عن تعريف النموذج نعرّف أولا الثروة الاجتماعية : فهي عبارة

عن مجموعة العلاقات والشبكات والتعاملات والجمعيات التي تتشكل من العادات والقيم المشتركة، وتؤدي هذه الظاهرة إلى تلاحم المجموعة الاجتماعية الإنسانية مما يسهّل عملية العمل الجماعي المتبادل. وهناك أربع خصوصيات تميزعادة هذا النوع من الثروة عن غيرها وهي:

١ ـإن استخدامه لا يؤدي بمرور الوقت إلى زواله واستهلاكه .

٢ ـهذه الثروة قابلة للتغيرلذلك لا يمكن رؤيتها وتقييمها بسهولة .

٣ ـ لا يمكن بناء هذا النوع من الثروة من خلال التدخل الخارجي للمجتمع، بل تدونها العلاقات الداخلية في المجتمع.

٤ ـليس للمؤسسات الحكومية المحلية والإقليمية تأثير كبيرعلى مقدار ونوع الثروة الاجتماعية .

ويقوم مفهوم الثروة الإنسانية على نفس قواعد هذه الخصوصيات التي تقوم عليها التنمية الإنسانية.

وهناك في التعامل المؤسساتي ـالاقتصادي نماذج تلفت الانتباه إلى تأثير الثروة الاجتماعية في العمل النظامي . وينتج هذا التأثيرمن حركة الثروة الإنسانية وسوق العمل وعوامل أخرى . وتقوم الثروة الاجتماعية بدورالتمهيد والتسهيل لسوق الثروة الإنسانية , وهذا هو نفس النموذج الذي حصل من خلال الرجوع إلى أقوال الامام علي بن أبي طالب عليه السلام في تأييد مركزية وأساسية النموذج الى جانب الاستنتاج من نماذج التعامل المؤسساتي.

وهذا النموذج يأخذ بنظرالاعتبار إلى حدّ كبير: ١ ـدورالإلزامات القانونية لقواعد ومؤسسات عمل النظام ٢. ـ نوع السيادة والحكم في النظام السياسي بهدف الانتاج والمحافظة على القوة العاملة ٣. ـالمشاركة وقبول المسؤولية في سوق العمل .

ولكل واحد من المفاهيم تعابير خاصة في نهج البلاغة منها :

١ ـ في خصوص دور الإلزامات القانونية يقول عليه السلام :

«أنه ليسَ على الامامِ إلا ما حُمِّلَ من أمرِ ربِّه: الابلاغُ في الموعِظة والاجتهادُ في النصيحة والاحياءُ للسُنة و إقامةُ الحدودِ على مستَحِقيها و إصدارُ السهمان على أهلِها» (نهج البلاغة ـ الخطبة ١٠٥).

٢ ـ وحول نوع الحكم ومعيار عمله في الحكومة يقول:

«فلما أفضتْ إلَيَّ نظرتُ إلى كتابِ الله وما وَضَعَ لنا وأمَرَنا بالحُكمِ به فاتَّبَعْتُه وما اسْتَنَّ النبيُ صلى الله عليه و آله وسلم فاقْتَدَيْتُه». (نهج البلاغة ـ الخطبة ٢٠٥).

٣ ـ وحول مستوى المشاركة وقبول المسؤولية في سوق العمل من قبل المسؤولين والنخبة يقول في بيان الخصوصية الإنسانية للمسؤولين :

«ولا يَكُنْ لكَ سفيرٌ إلى الناسِ إلاّ لِسانُك ولا حاجِبٌ إلاّ وجهُك ولا تحْجُبَنَّ ذا حاجةٍ عن لقائِك بها فإنَّها إنْ ذيدَتْ عن أبوابِك في أوّل ورودِها لمْ تُحْمَدْ فيما بعدُ على قضائِها». (نهج البلاغة ـ الرسالة ٦٧). ويقول بخصوص النخبة :

«و إني أُذَكِّرُاللّهَ من بَلَغَهُ كتابي هذا لِما نَفَرَ إليّ ، فإن كنتُ مُحسِنًا أعانَتْني ، و إن كنت مسيئًا استعتبتني» .(نهج البلاغة ـ الرسالة ٥٧).

وفيما يتعلق بالعمل على المستوى الادنى هناك اهتمام بثلاثة أمور:

عناصر علاقات العمل

في هذه العناصر يجري التاكيد على الثقة بين القوى العاملة .

١ ـ الثقة

«وأشعِرْ قلبَك الرحمةَ للرَّعِية ِ والمحبةَ لَهُم واللُطْفَ بِهِم وتَعَرَّضْ لَهُمَ العِلَل

ويُؤتى على أيديهِم في العمدِ والخَطاءِ فأَعْطِهِم من عفْوِكَ وصفْحِكَ مثلَ الذي تُحِبُّ وترضى أن يعْطِيَكَ اللّهُ مِنْ عفوِهِ وصَفْحِهِ» .(نهج البلاغة ـ الرسالة٥٣)

العناصر المعرفية.الذاتية:

جاءت هذه العناصرفي رسالة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في رسالته إلى مالك الأشتر ويؤكد على الكثيرمن الخصوصيات المعرفية:

«وليكنَّ أحبُ الامورِإلَيكَ أوْسَطُها في الحق وأعَمُّها في العَدل وأجمَعُها لِرِضى الرَّعِيَّة . فإنَّ سُخطَ العامَّةِ يُجْحَفُ برِضى الخاصَّة . و إنَّ سُخْطَ الخاصَّة يُغْتَفَرُمع رِضى العامَّة .. و إنَّما عِمادُ الدين وجَماعُ المسلمين والعُدَّةُ للأعداء العامَّةُ من الأمة فَلْيَكَنْ صَفْوُكَ لَهُم ومَيْلُك مَعَهُم»(نهج البلاغة ـ الرسالة ٥٣)

إن آخرقسم لنماذج المؤسسات الفردية والداخلية في الإنسان هي القوة العاملة الملتزمة . ونعبرعن هذا القسم بالثروة الاجتماعية الداخلية أوالفردية.

إن جذورهذا النوع من الثروة هي نتاج علاقة الفرد مع نفسه. والعلاقة الصادقة للفرد مع الله تعالى هي الأساس الأعمق لعلامة الثروة الداخلية أو الثروة المعنوية . و إن هذا الأساس القوي يهيء القوة الإنسانية للحضورالفاعل في سوق العمل.

إن هذا النوع من الثروة الداخلية يؤسس للمعرفة الحقيقية بين الفرد وبين ربه تعالى على أساس الصداقة والالتزام . ولذلك فإنها تبين بشكل ما العنصر المعرفي ويوجه كذلك بناء النموذج في المستوى الأدنى.

إلى جانب عنصر الصداقة يعتبر الالتزام أيضًا خصوصية أو عنصرًا آخر ذات أهمية . أي إن الفرد يكون ملتزمًا أمام وجدانه العام . ويعني أنه ملتزم بعهده مع نفسه وعهده مع ربه . وبذلك تتشكل عنده الثقة بالنفس . وفي ذلك يقول الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام :

«قدرُ الرجُلِ على قدرِ همتِه وصدقُه على قَدَرِ مروءته». (نهج البلاغة ـ الحكمة ٤٧).

٣ ـ وضع سوق القوة العاملة في إيران

يشمل سوق العمل قسمين أساسيين . يقوم أحدهما بعرض القوى العاملة وترتبط به متغيرات مثل نمو السكان والتوزيع السني والجنسي للسكان والهجرة ومستوى مشاركة المرأة . والقسم الثاني طلب القوى العاملة، وتؤثر فيه عوامل مثل حجم الاستثمار وتوزيعه والتقنية والنمو الاقتصادي. وفي نظام البرنامج العمراني للبلاد منذ عام ١٩٦٣ جرى طرح موضوع كوادر العمل كموضوع مستقل .

ومن خلال نظرة عامة من عام ١٩٥٦ وحتى عام ١٩٨٦ يُلاحَظ انخفاض مستوى النشاط العام في إيران، ومن أسباب ذلك النمو السكاني وخاصة في بداية قيام الثورة الإسلامية وقلة مشاركة المرأة وخاصة في فترة ما قبل الثورة الإسلامية .

وقد واجهنا النمو السكاني مع بداية الثمانيات التي تزامنت مع الحرب. لكن هذا النمو السكاني أصبح القوة العاملة في العقد الأول للألفية الثالثة يعني عام ٢٠٠٠ وما بعد، حيث تزامن ذلك مع التطورات الحاصلة في المجال العلمي للبلاد. وقد أوجد تزامن الشباب السكاني مع بداية القفزة العلمية في

إيران سوقًا جيدًا جدًا لإعداد الكوادرالعاملة للمؤسسات والجامعات خاصة في الفروع الإدارية مثل MBA حيث جرى الإقبال عليها ، إلى جانب ذلك فإن السعي لجذب الشباب إلى الفروع العلمية المتقدمة مثل الطب والفيزياء والميكانيك والالكترونيك والمكا الكترونيك وغيرها أدى الى إيجاد أسواق متنوعة للقوى العاملة في إيران .

وبطبيعة الحال فإن بعض الخريجين في فروع العلوم الإنسانية في إيران لايحظون بسوق جيد للعمل. ومن أسباب ذلك ضعف المستوى التعليمي في بعض الفروع وعدم تناسب المواد الدراسية مع حاجات سوق العمل في تلك المجالات.وفي نفس الوقت انتشربعض الفروع الجامعية على شكل عمومي وبكيفية واطئة مما أدى إلى عرض الكوادرالعاملة بشكل غيرمناسب.

إلى جانب هذا الازدهار كان أحد العلائم الأساسية لسوق العمل هو بنك المعلومات لسوق العمل . وقد جرى الاهتمام بهذه الحاجة في سوق العمل في الجمهورية الإسلامية منذ عام ٢٠٠٠ علمًا أن المسألة ما زالت في بداياتها ويتم العمل على تكميلها. ويتضمن بنك المعلومات نسبة مساهمة القوة العاملة ونسبة العاملين مقارنة مع مجموع السكان والعاملين حسب مجموعة الفعالية ومجموعة العمل والعاملين بنصف وقت العمل وعوامل كثيرة أخرى. وقد أولت الخطة الخمسية للتنمية الاقتصادية الاجتماعية والثقافية للبلاد أهمية خاصة بهذا القسم .

وبالنظرلنتائج عرض القوى الإنسانية المتخصصة يبدو أن في نهاية الخطة الخمسية الثالثة يعني عام ٢٠٠٢ تبلغ القوة العاملة المتخصصة في البلاد نحو ثلاثة ملايين شخص.وقد بلغ هذا الرقم في نهاية الخطة الخمسية الرابعة

للتنمية في عام ٢٠٠٩ خمسة ملايين شخص.وبذلك يميل نمو سوق العمل في إيران نحو القوة الإنسانية المتخصصة .

وفي جانب عرض القوة العاملة منذ عام ٢٠٠٥ وما بعد وفّر المجال والأرضية لقيام شركات غير حكومية للاستفادة بشكل أكثر من القوى المتخصصة. كما أن إيجاد أكثر من خمسين مركزًا علميًا وتقنيًا تحت إشراف وزارة العلوم والتحقيقات والتقنية الحديثة في مجال التعليم العالي لم يساهم فقط في كسب القوى المتخصصة لسوق العمل في إيران بل ساهم أيضًا في إنتاج العلم على مستوى البلاد.

على سبيل المثال نشرت مجلة Natvre مقالاً حول إنتاج العلم في العالم عام ٢٠١١، ودرس المقال الأوضاع العلمية لأربعين بلدًا في العالم فكانت الولايات المتحدة في المرتبة الأولى بانتاج اثنين وعشرين فاصل سبعة من عشرة بالمائة مقالاً، والصين بالمرتبة الثانية بإنتاج عشرة فاصل أربعة من عشرة بالمائة مقالاً علميًا، وجاءت إيران بالمرتبة العشرين في العالم بإنتاج واحد فاصل أربعة من عشرة بالمائة مقالاً علميًا . لكن بالنظر لنمو إنتاج المقالات العلمية في إيران بنسبة عشرين بالمائة فإنها جاءت في المرتبة الأولى في عام ٢٠١١ من حيث نمو الإنتاج .واحتلت الصين المرتبة الثانية بنمو بلغ خمسة عشرة بالمائة . ولهذا أعلنت مجلة Newscientist المحكمة العالمية أن عامي ٢٠١٠ و٢٠١١ كانا عامي إيران من حيث العلم . وتقول مؤسسة ساكنيس متركسي الكندية ScienceMetrix إن انتاج العلم في الشرق الأوسط سريع ويبلغ مقداره أربعة أضعاف المعدل العالمي. وجاء في التقرير أن إيران في العقدين الأخيرين يعني منذ عام ١٩٩٣ وحتى الآن انتقلت من حالة سوق العمل غير المتخصص إلى حالة سوق العمل المتخصص، وأنها أولت اهتماما بالبنى التحتية العلمية حتى بلغت الذروة في العلم والافتخار بالقوى الإنسانية .

وفي الحقيقة فإن مستوى النموالعلمي في إيران كان أعلى من دول مثل روسيا والهند والبرازيل والصين علمًا أنها خرجت من حرب طويلة وتواجه ضغوط العقوبات . إن نسبة النموالعلمي في إيران في فروع الفيزياء والكيمياء والذرة والطب والبيولوجيا متطورة وعالية .

من هنا نلاحظ أن وصول عدد القوة العاملة المتخصصة في عام ٢٠٠٩ الى ٥ ملايين وارتفاع نسبة ومستوى مشاركة ومساهمة القوة العاملة المتخصصة الشابة من فئة (٢٠الى ٢٩ سنة)يشير إلى أن بلدنا ومجتمعنا يعتبرمن حيث معدل عمرالسكان بلدًا شابًا لكن في نفس الوقت ذا فاعلية كبيرة في مجال العلم والبحوث والتقنية وفي النهاية في إنتاج الثروة العلمية .

كما أن توفرأسواق العمل بالنسبة للقوة العاملة شبه المتخصصة و شبه المحترفة أدى في نفس الوقت إلى نمو مستوى الإنتاج ، بحيث أن حجم إيرادات الصادرات غيرالنفطية للبلد التي كانت تبلغ في الفترة مابين عام ٢٠٠٠ إلى ٢٠٠١ في ظل وجود هذه القوة العاملة حوالي ٤ ميليارات دولارسنويًا قد وصلت الى ٣٥ مليار في عام ٢٠١١ ، و هذا ما يشير إلى تقدم وتطورونمو كبيرفي مجال أسواق العمل في إيران، و إلى جانب الحجم الكمي للإحصائيات والأرقام المذكورة و بسبب المقاطعة الاقتصادية و تأكيد كبارالمسؤولين في الجمهورية الإسلامية على ضرورة التطوروالتنمية ،تم تسمية عام ٢٠١١ في إيران (من قبل قائد الثورة الإسلامية) بعام الجهاد الاقتصادي فازدادت نتيجة ذلك الدوافع والثقة للمشاركة في المجالات العلمية يومًا بعد يوم. وهذا يعني أن الاهتمام بالأسس القيمية ـ النظرية التي طرحناه في بداية المقال تشهد بدورها نموًا مضطردًا أيضًا.

الاستنتاج

بناءً على ما ذكرناه يمكن استنتاج مايلي:

إن الاهتمام بالمباني و الأسس الإلهية المعنوية يعتبرمن الضروريات المطروحة للنماذج النظرية الجديدة في عملية تحليل سوق العمل و العلاقات السائدة فيه في نظام التنمية الاقتصادية.

يمكن الاستفادة من تجارب الغرب أيضًا في هذا المجال لكن ينبغي الاهتمام والانتباه إلى المشروع الاسلامي.

إن عملية التغييرالتي تحصل في المجال الكمي و الكيفي لسوق العمل في إيران تتجه نحو الاستفادة من القوة العاملة المتخصصة.

التطورات الأخيرة التي حصلت في أسواق عمل المتخصصين و المتعلمين والمتدربين منذ ٢٠٠٠ وحتى الآن أدت إلى حدوث نقلة نوعية في الإنتاج العلمي في إيران.

المقاطعات و الضغوط التي تمارس ضد إيران رغم آثارها السلبية زادت من الدوافع العلمية و القيمية للقوة العاملة المتخصصة.

إن ترشيد و توجيه القوة العاملة إلى النشاطات العلمية التطبيقية والإنتاج يعتبرمن الضروريات التي لابد منها.

رغم محدودية المعلومات الخاصة بأسواق العمل و نسبة البطالة و انخفاض مستوى النشاطات إلاأن التغييرات الجديدة تبشربحدوث تطورات أساسية في أسواق القوة العاملة في إيران .

هذا الاتجاه في تربية الكوادرالإنسانية والذي يمكن دراسته على مستوى و محتوى الدروس التطبيقية و حتى تأسيس المراكزالعلمية ،مثل مراكزالعلم

و التكنولوجيا التي تم تأسيسها في إيران الإسلامية، يمكن نقله وتقديمه إلى البلدان الإسلامية التي تشهد اليوم صحوة إسلامية.

تستطيع رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية أن تكون حلقة وصل بين القوى العاملة القيمة في البلدان الإسلامية من جهة والجمهورية الإسلامية الإيرانية من جهة أخرى كما تستطيع هذه الرابطة أن توفرو تمهّد الأمور لانتقال خبرات وحصيلة الحركة العلمية والنشاط العلمي في أسواق العمل إلى البلدان الأخرى و إلى الأمة الإسلامية بصورة عامة .ويمكن تنفيذ هذه الخطوة بشكل عملي عبر للجمهورية الإسلامية الإيرانيةفي البلدان العربية والإسلامية.